ينصّ التعديل الأول من إعلان الحقوق على التالي:
لن يَسنّ الكونغرس أيَّ قانون بصدد مؤسَّسة دينيَّة، أو يمنعها من الممارسة الحرَّة لذلك الدين، أو يحدّ من حريَّة التعبير، أو حريَّةِ الصحافة، أو حقِّ الناس في التجمُّع السلميّ، أو الطلبِ من الحكومة الإنصافَ من المظالم.

لماذا نَحْجب بن لادن؟

روبرت هـ. غيلز*

الإعلام الأميركيّ الذي طالما تباهى بموضوعيَّته يَقْمع صوتَ «الخصم.» هنا مقالةٌ تُدافع عن حريَّة الإعلام والتعبير حرصاً على الذات الأميركيَّة أولاً وآخراً، وحرصاً على الإيديولوجيا الليبراليَّة المنتهَكَة من دعاتها.

لماذا لا نَسْتطيع أن نُشاهِدَ بن لادن على التلفزيون الأميركيّ؟ لقد اتَّصل مسؤولون من البيت الأبيض بمدراء الشبكات التلفزيونيَّة الأميركيَّة الشهرَ الماضي بعد أن أُذيع على نحوٍ واسعٍ تصريحٌ مسجَّلٌ على شريط ڤيديو للسيد بن لادن في ٧ تشرين الأول (أكتوبر). وأَقْنَعت الإدارةُ الأميركيَّةُ تلك الشبكاتِ بأنَّ الرقابة الذاتيَّة ضروريَّة لمجهود الحرب، وأُوحي بأنّ شرائط السيد بن لادن محضُ دعاية (پروپاغندا)، وبأنَّه ـ علاوةً على ذلك ـ قد يَسْتَخْدم هذه الشرائطَ لبثّ رسائلَ خفيَّةٍ إلى الإرهابيِّين، مع أنَّ دليلاً واحداً لم يقدَّم لدعم هذا الزعم. وقد وافق مسؤولو الشبكات التلفزيونيَّة على أن يتعاملوا مع النشرات «بحذر» في المستقبل.

لم يَظْهر قائدُ تنظيم القاعدة، العصيُّ على الإدراك، في التلفزيونات الغربيَّة بعد ذلك. إلى أنْ حلَّ يومُ السبت الماضي، حين بَثَّتْ قناةُ الجزيرة القطريَّة شريطاً على الڤيديو للسيد بن لادن مدَّتُه عشرون دقيقة. في تلك اللَّحظة اكتشَفْنا معنى الإجراء المسمَّى «التعامل بحذر.» فقد بُثَّت مقاطعُ موجَزةٌ على محطتَيْ «فوكس نيوز» و«سي أنْ أنْ،» وقام المذيعون بتلاوة مقتبسات من كلام بن لادن أو رواياتٍ أعادوا صياغتَها بحسبِ ما حَكَم المدراءُ بأهميَّته الإخباريَّة. وهكذا لم يَسْتطع الأميركيُّون أن يَحْصلوا على المضمون الكامل لتصريح السيد بن لادن؛ وإلى الآن مازالت الوسيلةَ الأسهلَ للحصول على نصّ هذا التصريح هي شبكةُ الانترنت بدلاً من المصادر الإخباريَّة المعتادة.

قناة الجزيرة هي الشبكة الإخباريَّة العالميَّة الأساسيَّة لتوفير تغطية جديَّة من داخل أفغانستان. وفي خطوةٍ جديرةٍ بأفضل ما في الصحافة الأميركيَّة من تقاليد، دعت «الجزيرة» مسؤولاً أميركيّاً إلى الردّ على السيد بن لادن، وهو كريستوفر روس، السفيرُ الأميركيُّ السابق لدى سوريا والجزائر. وقد تحدَّث روس ١٥ دقيقةً بعربيَّة طَلْقة،

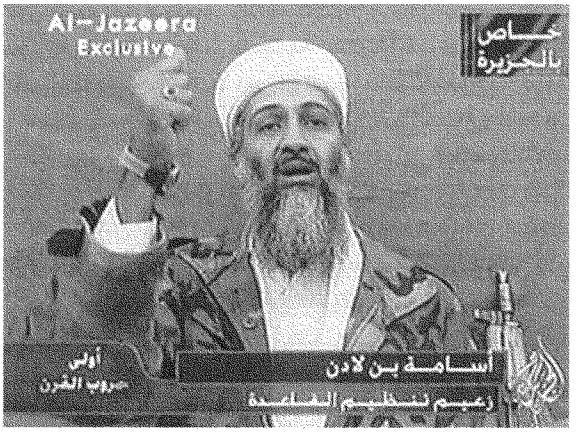

لم يستطع الأميركيُّون أن يَحْصلوا على المضمون الكامل لتصريح السيد بن لادن

منتقدًا السيد بن لادن ونافيًا اتِّهاماته. وهكذا تلقَّى الناسُ في العالم العربيّ صورةً عن التُّهمة والردّ أكمَلَ من تلك التي تلقّاها أيُّ واحدٍ تقريبًا في الولايات المتحدة، معقلِ الصحافةِ الحرّةِ والتعبيرِ الحرّ!

لقد خسر المواطنون الأميركيُّون معلوماتٍ هامَّةً عن الشخص الذي تخوض حكومتُنا الحربَ ضدّه. فمثلاً وسّع السيد بن لادن كثيرًا في تصريحه المذكور مجالَ ملاحظاته السابقة عن الصِّلات بين جهوده والمشاكلِ أو الأزماتِ الواقعة في أماكن أخرى من العالم ماضيًا وحاضرًا. ففي عام ١٩٩٦ كان قد ركَّز بشكل ضيِّق إلى حدٍّ ما على تموضع القوات الأميركيَّة في السعوديَّة نتيجةً لحرب الخليج. غير أنَّه في تصريحه المسجَّل على الڤيديو في ٧ تشرين الأول (أكتوبر) ـ وهو التصريحُ الذي دَفَعَ البيتَ الأبيضَ إلى الاتِّصال بمدراء المحطّات التلفزيونيَّة ـ عادَ فوسَّعَ رسالتَه لتَشْملَ القضيَّةَ الفلسطينيَّة وآثارَ العقوبات التي تَفْرضها الأممُ المتحدة على العراق. وتحدَّث عددٌ كبيرٌ من التعليقات عمّا إذا كان تبنِّي السيد بن لادن للقضيَّة الفلسطينيَّة عملاً انتهازيّاً محضًا. ودفع التصريحُ نبيل شعث، وزيرَ التخطيط في السلطة الفلسطينيَّة، إلى القول عن بن لادن «لقد تذكّر فلسطين منذ يومين فقط!»

---

* ـ أمينُ مؤسَّسة نيمان للصحافة في جامعة هارڤرد، والمحرّر والناشر السابق لـ **ديترويت نيوز**. والمقال نُشر في **نيويورك تايمز** بتاريخ ٢٠٠١/١١/١١.

وفي ذلك التصريح أيضًا وسّع السيد بن لادن لائحةَ ما أسماه الصراعاتِ الإسلاميَّةَ ـ المسيحيَّةَ ليَشْمل الشيشانَ (مع بعض التعليقات الموجَّهة إلى ڤلاديمير پوتين و«الدبِّ الروسيّ») وجنوبَ السودان والصومالَ وكشميرَ والبوسنةَ وتيمورَ الشرقيَّة والفيليبِّين. ففي حين ركَّزتْ تصريحاتُه السابقة بشكل ضيِّق على الولايات المتحدة، وعلى إدارة بوش بعد اعتداءات ١١ أيلول في أميركا، شَهِدَ تصريحُه الأخيرُ انزياحًا دراماتيكيّاً من الولايات المتحدة باتِّجاه الغرب المسيحيّ عامَّةً والأممِ المتحدةِ أيضًا.

إذا كان هذا دعايةً، فهي دعايةٌ ذاتُ أهميَّةٍ إخباريَّةٍ، ونقْلُها إلى الجمهور الأميركيّ قد يُريح الأعداءَ بعضَ الشيء، ولكنَّ هذا ليس جليّاً أبدًا. ذلك أنَّ اللائحة الموسَّعة من الصراعات قد تُتَّخذ دليلاً على يأس بن لادن المتنامي. وقد يُشير هجومُه على الأمم المتحدة وعلى أمينها العامّ كوفي أنان إلى مدى خوف تنظيم القاعدة من جهود عالميَّة واسعة [لمحاربة الإرهاب] بدلاً من اقتصارها على الجهد الأميركيّ وحده.

لقد سَعَتْ إدارةُ بوش نفسُها إلى تصوير الصراع الدائر الآن صراعًا كونيّاً لا أميركيّاً فقط، وإلى أن تُظْهر السيدَ بن لادن معتديًا على العالم بأسره. والحقّ أنَّ تصريحَ بن لادن الأخيرَ هذا يُعْطي دعمًا كبيرًا لموقف الإدارة الأميركيَّة، وهو ما يَجْعل رغبةَ هذه الإدارة في حجبه عن الجمهور الأميركيّ غريبًا بشكل خاصّ.

على الانفتاح الفكريّ ألا يكون ضحيَّةً من ضحايا الحرب. فعلى امتداد أجيال من الصراع الفعليّ والإيديولوجيّ مكَّنت الصحافةُ المواطنين الأميركيِّين من التعرُّف إلى صور أعدائنا ورسائلهم. فلِمَ تكون حالةُ أسامة بن لادن مختلفةً إلى حدِّ الضغط على نشرات الأخبار الأميركيَّة المتلفزة لحجبه عن الأنظار؟

إنَّ الدعاية (البروپاغندا) أداةُ حرب، وتَستعملها كلُّ الحكومات. ومحاولاتُ الولايات المتحدة حَصْرَ التغطية الإخباريَّة هي شكلٌ من أشكال البروپاغندا يؤدِّي إلى صورةٍ مشوَّهةٍ عن الحقيقة تُعْرض أمام المشاهدين الأميركيِّين. وخلال ٤٠ عامًا من الحرب الباردة مَنَعَ الخداعُ الذي مارستْه سلسلةٌ من الإدارات الأميركيَّة عن الجمهور الأميركيّ معلوماتٍ أساسيَّةً.

وقد تمثَّل تعبيرٌ آخرُ عن الاستراتيجيَّة الأميركيَّة المتَّبعة لإدارة نشرات الأخبار في قرار حرمان الأسوشياتد پرس من مرافقة وزير الدفاع دونالد رامسفَلْد في رحلةٍ للتشاور مع قادة التحالف الداعم لأميركا. إنَّ هذا القرار يَعْكس سياسةً إعلاميَّةً تصمّ آذانَها عن النبرات المتعدِّدة ـ فتتجاهل حقيقةَ أنَّ الأسوشياتد پرس هي مصدرُ الأخبار العالميَّة الأوحد لمئات الجرائد والإذاعات ـ أو تَجْهد ماكرةً لفرضِ حدودٍ على المعلومات عن رحلة رامسفَلْد. وعلى الرُّغم من المناشدات التي قامت بها الأسوشياتد پرس و«الجمعيَّة الأميركيَّة لمحرِّري الجرائد،» فقد رفَضَت الحكومةُ الأميركيَّةُ إعادةَ النظر في قرارها.

منذ ١١ أيلول (سبتمبر) واصل عملُ الصحفيِّين الواسعُ الحيلةِ والمِقْدامُ إطلاعَ الجمهور على ما يَحْدث، محافِظًا ـ في الوقت نفسه ـ على التوازن الصعب زمنَ الحرب بين السرِّيَّة وتقاليدِ الانفتاح الفكريّ. لكنَّ طبيعة المصادر المتوفِّرة للصحافة دفعتْ إلى حدٍّ كبير بالصحفيِّين إلى سرد الأخبار من منظور المصلحة الأميركيَّة الأنانيَّة. وعلى هذه الخلفيَّة فإنَّ تمكين الولايات المتحدة من مشاهدةِ تصاريح بن لادن وسماعِها أمرٌ هيِّنٌ.

لقد قالت رسالةٌ إخباريَّةٌ لوكالة الأسوشياتد پرس من القاهرة في وصف شريط قناة الجزيرة المسجّل على ڤيديو السبت الماضي إنَّ السيد بن لادن «تحدَّث بهدوء» ولكنَّه ـ على ما واصل تقريرُ الوكالة ـ كان «يتنفَّسُ بجهد. وقد قَطَعَ حديثَه لأخذ حسوتَيْن من قدحه.»

أكان يمثِّل؟ أكانت الضرباتُ تَفْعل فيه فعلَها؟ أكان يُفْلِح في حرب البروپاغندا؟

على المشاهِدين الأميركيِّين أن يَمْتلكوا حريَّةَ أن يقرِّروا الإجابةَ بأنفسهم عن هذه الأسئلة!

الولايات المتحدة تشتري كلّ صور الحرب المبثوثة على الفضائيّات

دنكان كامبل*

انتهاك حريَّة الصحافة، أيْ نَسفُ التعديل الأوَّل من إعلان الحقوق، قد يأتي عبر «شراء» المعلومات بهدف حجبها. المال سلاحٌ قمعيّ؛ أيَصْعبُ فهمُ هذا في الوطن العربيّ تحديدًا؟

صَرَف البنتاغون ملايينَ الدولارات ليَمْنع الإعلامَ الغربيَّ من رؤية صورٍ بالغةِ الدقّة، ملتقَطةٍ عبر الأقمار الفضائيَّة التي تخصّ شركاتٍ غيرَ حكوميَّة، عن آثار قصف أفغانستان، على نحوٍ ما كُشِف البارحة.

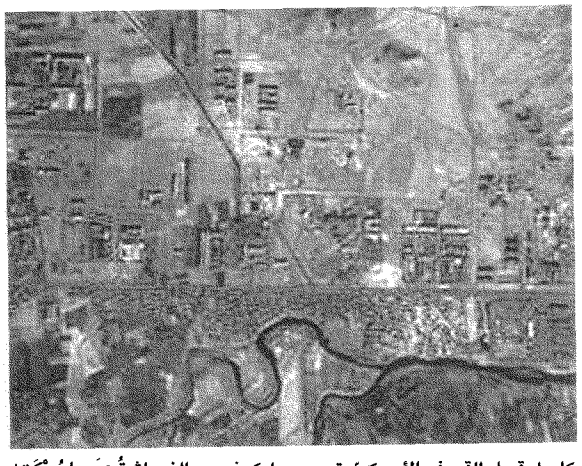

كابول قبيل القصف الأميركيّ: تصوير «ايكونوس» الذي اشترَيَ... ليُسْكَت!

* ـ منشور في **الغارديان** البريطانيَّة، ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠١. وكامبل هو كاتب متخصِّص في قضايا الاستخبارات.